

والديباجات لترصد عناصر أخرى مركبة تتجاوز إرادة القائل نفسه . فالتشدد اللفظي ، أى الموقف الصقري الكلامي ، قد يكون أحياناً بمنزلة غطاء لتغطية الموقف الدجاجي أو النعامي الفعلي .

خذ مثلاً رغبة إيتان في منع مرور السيارات ، والاكتفاء بجندين يقفان على ناحية الشارع . هل درس إمكانية إلقاء الحجارة عليهما واحتمال احتياجهما إلى فرقة عسكرية كاملة لحمايتهما ؟ أما فيما يتصل بترحيل مئات القيادات ، أفلا يحتاج الأمر آليات معينة وآلة قمعية معينة لأن قاعدة هؤلاء القادة في حالة استنفار ؟ ولكن هذه الأسئلة تفترض أن صاحب الاقتراح عنده الصورة الكلية ، والأمر ليس كذلك ، فالنموذج الإدراكي المادى يجتزئ مجموعة من الحقائق ويستبعد الحقائق الإنسانية والتاريخ ، ولذا يتحوّل الصقر الهائج من منظور الممارسة إلى نعام مضحك . خذ مثلاً رغبة ذلك المستوطن الذى يود ذبح العرب وإبادتهم بعيداً عن كاميرات التلفزيون ، تماماً كما فعل الأمريكان في تجربة استيطانية مماثلة ، وهذه هى شهوة الصقور . ومع هذا . . فبعد التدقيق نجد أن موقفه هذا نعامي تماماً ، فهو يعرف أن التجربة الأمريكية الاستيطانية الإحلالية تمت ابتداءً من القرن السابع عشر في منطقة لم تكن فيها الكثافة السكانية كبيرة ، تسكنها عدة «أم» من الهنود ، تتسم حضارتهم بعدم التركيب ، رغم جمالها ورقتها ، ومن هنا كان من السهل إبادةهم بعيداً عن عيون التلفزيون الشيطانية - التي لم تكن قد اخترعت بعد . أما هذا المستوطن الصهيوني فقد تمت تجربته الاستيطانية ابتداءً من أواخر القرن التاسع عشر في منطقة تعج بالسكان ، الذين تحيط بهم ملايين من إخوانهم ينتمون إلى تراث حضاري قديم مركب . وعلاوة على كل هذا أصبح في وسعهم الآن الحوار مع الكاميرا بكفاءة غير عادية . فالتشدد هنا هو من قبيل ما يمكن تسميته «العادة السرية السياسية» ، والحلم بالمستحيل اللذيذ !

ويجب أيضاً أن نرى التشدد باعتباره تعبيراً عن أزمة حقيقية وعميقة ، فالصهاينة - كما أسلفنا - على استعداد لإظهار قدر كبير من التسامح حيال العربي ،